

تفسير ابن كثير

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ^ج فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً^ق ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ

قال محمد بن إسحاق : حدثني الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد بن معاذ ، قالوا : لما أصيبت قريش يوم بدر ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بغيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش أصيب آبائهم ، وأبنائهم وإخوانهم ببدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدا قد وترككم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ! ففعلوا . قال : ففيهم -

كما ذكر عن ابن عباس - أنزل الله - عز وجل - : (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم]

ليصدوا عن سبيل الله [) إلى قوله : (والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) وهكذا روي

عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحكم بن عتيبة ، وقتادة ، والسدي ، وابن أبيزى : أنها

نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أحد لقتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

.وقال الضحاك : نزلت في أهل بدر .وعلى كل تقدير ، فهي عامة . وإن كان سبب نزولها

خاصا ، فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق ، فسيفعلون

ذلك ، ثم تذهب أموالهم ، (ثم تكون عليهم حسرة) أي : ندامة ؛ حيث لم تجد شيئا ؛

لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق ، والله متم نوره ولو كره

الكافرون ، وناصر دينه ، ومعلن كلمته ، ومظهر دينه على كل دين . فهذا الخزي لهم في

الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار ، فمن عاش منهم ، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه

، ومن قتل منهم أو مات ، فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي ؛ ولهذا قال : (

فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) وقوله

تعالى : (ليميز الله الخبيث من الطيب) قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله

: (ليميز الله الخبيث من الطيب) فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء وقال السدي :

يميز المؤمن من الكافر . وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة ، كما قال تعالى : (

ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم) [يونس : 28] ، وقال

تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) [الروم : 14] ، وقال في الآية الأخرى : (يومئذ يصدعون) [الروم : 43] ، وقال تعالى : (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) [يس : 59] .ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا ، بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين ، وتكون " اللام " معللة لما جعل الله للكفار من مال ينفقون في الصد عن سبيل الله ، أي : إنما أقدرناهم على ذلك